

خيركم من تعلم القرآن وعلمه

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ





00966558883286

YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer9@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ



خيركم من تعلم القرآن وعلمه



لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبه ربنا ﷻ ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدالله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرا إلى يوم الدين.

ثمَّ أمَّا بَعدُ:

فإننا في هذه الليلة، ليلةِ الخامس من شهر صفر، من عام ألف وأربعمئة وأربعة وأربعين من هجرة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، نجتمع في هذا المكان المبارك- الجامع الكبير- لنتذاكر هذا الحديث الجليل الذي خرَّجه البخاري في «الصحيح»، واجتماعنا في هذا المكان المبارك أمارة خير بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إذ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله عَزَّوَجَلَّ يتذاكرون كلام الله، إلا حفتهم الملائكة، وذكرهم الله عَزَّوَجَلَّ فيمن عنده.

وكونُ هذا الاجتماع في الجامع الكبير له خصوصية؛ إذ هذا الجامع بخصوصه تتابع على الإقراء فيه والتدريس والإمامة، جمعٌ من أهل العلم منذ قرون متوالية، كما يعلم ذلك كلٌّ من عني بتاريخ هذا المسجد، وللمسجد العتيق والقديم في البلد فضلٌ عند أهل العلم، فقد روى نعيم بن حماد أن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن الجماعة في الجامع العتيق أفضلُ من غيره.

ولذا أخذ فقهاؤنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن الجماعة إذا كانت في مسجد عتيق فهي أفضل من المسجد الجديد، وكما أن الجماعة في المسجد الذي يكون أكثر جماعة أفضلُ من المسجد الذي يكون دونه.

ومِن اللطائف أن راوي الحديث الذي معنا وهو أبو عبدالرحمن السُّلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان إقراؤه وتدريسه لكلام الله عَزَّوَجَلَّ في الجامع الأعظم في الكوفة، قال أبو إسحاق السبيعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مكث أبو عبدالرحمن السُّلمي أكثرَ من أربعين عاما، يُقرئ كتابَ الله عَزَّوَجَلَّ في الجامع الأعظم في الكوفة. يعني العتيق والأقدم والأكبر.

أيها الإخوة لقد روى البخاري في «الصحيح» من حديث سعد بن عُبيدة، عن أبي عبدالرحمن السُّلمي، عن عثمانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

هذه الجملة المختصرة من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مكونة من مبتدأ وخبر، لكنها حوت معاني عظيمة ودلائل جليلة، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أوتي جوامع الكلم، وقد ذكر جمعٌ من أهل العلم- كالقاضي عياض- أن ما خرج من فِيْ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الأقوال البليغة؛ فإنه معصوم فيها، لا يمكن أن يطرأ عليه في بليغ كلامه خطأ ولا نسيان ولا زلل، صلوات الله وسلامه عليه، وحكى الإجماع على ذلك، وهذا الحديث الذي بين أيدينا في هذه الليلة هو داخل في ذلك، فإن فيه من المعاني الكثيرة التي أطال أهل العلم وأطنبوا في ذكر هذه المعاني وتفصيلها.

وأوردت إسناد حديث هذا الباب؛ لأن فيه نكتةً، وذلك أن الراوي عن عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو أبو عبدالرحمن السُّلمي، حينما حدَّث بهذا الحديث حدَّثه عنه سعد بن عبادة، قال سعد: فقال لي أبو عبدالرحمن السُّلمي: ما أقعدني هذا المقعد إلا هذا الحديث عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. قال سعد بن عبادة وكان قد أقرأني في عهد الحجاج أو بعد وجود الحجاج أو نحوا مما ذكر سعد بن عبيدة، المقصود من هذا- أن

هذا الحديث قد تسلسل في روايته عددٌ من أئمة القراءة.

فأما أبو عبدالرحمن السُّلمي فلا شك أنه من أئمة القُراء من التابعين، فقد وُلد في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأبوه وأمه من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد حمل على عاتقه إقراءُ كتابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد مكث من عهد عثمان وهو يُقرئ الناسَ القرآن إلى أن مات في وقت ولاية الحجاج ابن يوسف الثقفي، ما يزيد عن أربعين عاما يقرئ الناس القرآن في المسجد ويعلمهم ذلك.

وكان أبو عبدالرحمن السُّلمي رَحِمَهُ اللَّهُ قد قرأ القرآن على عثمان بن عفان، ثم قرأه على عليٍّ بن أبي طالب، ثم قرأه على ابن مسعود، ثم قرأه على زيد بن ثابت، وقرأه كذلك أوَّلا على أبيه، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد حكى رَحِمَهُ اللَّهُ كيف كان أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعلِّمون الناس القرآن، فقال أبو عبدالرحمن: حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنهم كانوا لا يَقرؤن خمس آيات ويتجاوزونها إلى غيرها حتى يعلموا ما فيها من الحلال والحرام، ويَعْملوا بما فيها، وكذلك كان هو يفعل، قال سعد بن عُبيدة- الراوي عنه-: كان أبو عبدالرحمن السُّلمي رَحِمَهُ اللَّهُ، لا يقرؤنا إلا عشرَ آيات ثم عشر آيات. فكان أبو عبدالرحمن السُّلمي يُعلم الناس هذا الكتاب العظيم، ليس بكثرة تعليم في يوم واحد؛ وإنما يعلمهم كما تعلمه مجزئا عشر آيات ثم عشر آيات.

وقول أبي عبدالرحمن السُّلمي هذا- فيه فوائد أوردها أهلُ العلم، من هذه الفوائد:

كيف أن هذا الحديث أثَّر فيهم، وأن سماعهم لحديث واحد عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جعلهم يلتزمون معناه ومضمونه سنين طوالا، فأبو عبدالرحمن السُّلمي من حين سمع هذا الحديث من عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقَرَ معنى ذلك الحديث في قلبه، ولم يك كغيره لا يجاوز سمعه؛ وإنما وقَرَ في قلبه والتزم معناه، ومكث أربعين سنة- أو أكثر- وهو يعلم الناس.

وقبل أن انتقل لفائدة أخرى من قول أبي عبدالرحمن لنتأمل ذلك، فإن أكمل الناس معرفة بالقرآن بعد الصحابة- رضوان الله عليهم-، هم التابعون، ومن أعلم التابعين بالإقراء أبو عبدالرحمن السُّلمي باتفاق المُقرئين، فانظر حينما سمع هذا الحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال كلمته الجميلة: ذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.

فمن حين سمع هذا الحديث لزم معناه، وعُني بتعليم الناس القرآن، ليس مرة ولا مرتين، ولا يوما ولا شهرا ولا شهريا؛ وإنما مكث أكثر من أربعين عاما يعلم الناس القرآن بسبب سماعه هذا الحديث، ولذا فإن أقول لنفسي أولا ولإخواني ثانيا: أما وقد سمعنا حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلنُرْعي سمعنا له، ولنُلقي رِكَابنا عند معانيه، ولنجعل معناه داخلا في قلوبنا، ليس طارقا لسمعنا غيرَ مجاوز لها.

ومن فوائد قول أبي عبدالرحمن السُّلمي- عندما قال: ذاك الذي أقعدني هذا المقعد-: استفاد منه بعضُ أهل العلم أن أبا عبدالرحمن السُّلمي أدرك عثمان؛ وذلك أن صاحبه سعد بن عبيدة قال: وكان قد أقرأ من زمن عثمان إلى حين الحجاج بن

يوسف الثقفي، وذلك أن بعضا من أهل العلم قال: إن أبا عبدالرحمن السُّلمي لم يسمع من عثمان، واحتج البخاري على سماعه بقوله هذا، وبشهادة سعد بن عبيدة له بذلك.

وأما حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه قال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

هذا الحديث الذي ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ذكر جمعٌ من أهل العلم أنه في القرآن؛ لأن ما من شيء إلا وفي القرآن الدلالة عليه، ما فرطنا في الكتاب من شيء، وذكروا عددا من الآي التي تدل على معنى هذا الحديث، ومن الآي التي ذكروا أنها في معنى هذا الحديث فتدل عليه وزيادة قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]، ومن دعا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يدعو بطرائق متعددة، قال الحافظ ابن حجر: ولا شك أن مِن أعظم الوسائل التي تكون بها الدعوة إلى الله وأجلها هو تعليم الناس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

فهذا الحديث داخل في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت: ٣٣]، ولذلك كان هو خير الناس.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ».

ذكر أهل اللغة والبيان أن هذه صفة مشتقة جاءت بمعنى أفعل التفضيل فكأنه قال: أخيركم وأفضلكم من تعلم القرآن وعلمه.

وقد جاء ما يشهد على هذا المعنى، ففي لفظ عند البخاري من حديث سفيان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

فقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم»، الخير يقابل أمرين يقابل الشر، ويقابل

من لا خير فيه، إذا فمفهومها يشمل الأمرين، من لا خير فيه، ومن كان فيه شر، فمن كان عالما للقرآن متعلما له ومعلما معا؛ فإنه يكون قد حوى الخير داخلا في كونه أحسن الناس وأفضلهم.

وقد جاء في لفظ عند أبي داود أن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أشرف أمتي من تعلم القرآن وعلمه».

فهذا الحديث بألفاظه يدل على أن أخير أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأفضلهم وأشرفهم- هو من تعلم القرآن وعلمه، وهو كذلك، فإن من جمع بين هاتين الصفتين تعلُّمِ القرآن وتعليمه، فلا شك أنه أشرف أمة محمد، فإن أشرف أمة محمد هم علماؤها، ولا علم إلا بالقرآن، بل إن أشرف الثقلين هم أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأشرفُهم وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو أعلم الناس بالله وبكلامه جَلَّ وَعَلَا.

ومن تعلم القرآن وعلمه فهو خير الناس، خيرهم في الدنيا وخيرهم في الآخرة، وقد عني العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بذكر هذه الخيريات، وقد جاء في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ نحوا من ثلاثين أفضلية وخيرية لمن كان القرآنُ في جوفه، وجاء في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يزيد على ذلك بضعفه، ولذلك فلو أراد أحدنا أن يتحدث عن الخيريات والفضائل التي تترتب على من تعلم القرآن وعلمه، لانقضى مجلسنا ونحو من عشرة أمثاله في تِعداد ما جاء في كتاب الله وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولكن نكفي من ذلك بهذه الكلمة: «خيركم» أي أن أخيرا الناس وأفضلهم وأشرفهم- كما جاءت في الألفاظ الأخرى- هو من جمع الوصفين تعلم القرآن وعلمه».

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وإن كانت الصفة الفعل المشتق، بمعنى بمعنى أفعل التفضيل، لكن بعضا من أهل العلم قال: إنها ليست على سبيل الإطلاق، فإنه قد جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بضعة عشر حديثًا، ذكر فيها أفعالا أن من فعلها فإنه يتصف بأنه خير الناس، فمن ذلك:

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم خيركم لأهله».

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم أحسنكم قضاء».

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله».

وغيرها من أحاديث، تزيد عن عشرة وأوصلها بعض المعاصرين إلى نحو من أربعين بإيراد ما في معناها.

المقصود من هذا- أن هذه الأحاديث المتعددة التي جاءت في أن من فعل فعلا بعينه فإن ذلك الفعل يكون المتصف به خيرَ الناس، جمع أهل العلم بين هذه الأمور بجموع متعددة، اذكر من هذه الجموع ما يسمح به الوقت.

فأول هذه الجموع: ما ذكره بعض كبار الشافعي- وهو القَفَّال الكبير-، حينما ذكر أن معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أي: خيركم في حال دون حال، فالحال باعتبار العلم أخير الناس من تعلم القرآن وعلمه، وأخيرهم باعتبار قضاء الأوقات في الطاعات من تعلم القرآن وعلمه، وأفضلهم بمن أتى بالفرائض وأتى بإخلاص الله عَزَّوَجَلَّ هو من تعلم القرآن وعلمه، وهذا وجه، أن الخيرية المطلقة هنا تكون في حال دون حال.

والجمع الثاني: قال بعض الشُّراح: إن معنى قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم» أي: من خيركم باضمار (مِن) التبعيضية، إذ يأتي في لسان العرب كثيرا أن يأتوا بأفعل التفضيل ويقصدون بعضَ المراد بذلك وليس جميع الإطلاق، ومن ذلك قولهم: أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه، وليس المراد أن أهله وجيرانه هم أشد الناس زهدا، ولكنهم من أزهد الناس فيه، فقد يكون بعيدا نائ عنه جاهلا بحاله زاهدا فيه كذلك، فهذا في لسان العرب أنهم يأتون بأفعل التفضيل مع إضمار (مِن) التي تفيد التبعيض، فكأنه يقول إن من خيركم من اتصف بهذه الأوصاف.

ويحتمل الجمع بين الأمرين، فنقول: إن خير الناس وأفضلهم وأشرفهم من تعلم القرآن وعلمه، أحيانا على سبيل الإطلاق، وأحيانا على سبيل التأقيت، فيكون على سبيل الإطلاق أفضل الناس من تعلم القرآن وعلمه، إذا كملت فيه الأوصاف التي ستأتي بعد قليل، ويكون على سبيل الاختلاف من حال إلى حال كما قال القَفَّال، إذا قصَّر في بعض الأوصاف التي أوردها أهل العلم.

ويشهد لهذا المعنى ما جاء عن عبدالله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن القرآن سيقرأه أقوام ليسوا بخياركم. وهذا يدلنا على أن الخيرية في بعض الناس تكون نسبية ولا تكون مطلقة؛ بل قد تكون الخيرية له في الدنيا فقط دون الآخرة، كالمنافق؛ فإن المنافق إذا قرأ القرآن فإنه يكسب فيه في الدنيا ثناء، ويكسب فيه في الدنيا ربما مالا، ويكسب به رفعة، ولكنه يكون عليه وبال في الآخرة، وقد بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثله كمثل ما يكون ريحه طيب وداخله مر، وهو الريحانة؛ فإن ريحها طيب أمام الناس في الظاهر، ولكن طعمها مر؛ وذلك بسبب عدم إيمانه، وهذا الذي

قرره أهل العلم فيما سنذكره بعد قليل عندما نتكلم عن معنى التعلم الكامل الذي أورده أهل العلم.

وآخر مسألة متعلقة بمبتدإ هذه الجملة وهو قوله: «خيركم»: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، ذكر بعض أهل العلم نكتةً لما جعل خير الناس من تعلم القرآن وعلمه، قالوا: لأن الخيرية تفضل بفضل المُتعلَّم، فإن خير الكلام كلام الله ﷻ كما ثبت عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكان يقوله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهنا نكتة أوردها أبن الجوزي وتبعه عليها الشيخ تقي الدين: أن هذا الحديث موجود في بعض الكتب هكذا: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وذلك أن فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه».

هذه الزيادة ليست من كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما هي من كلام الراوي عن عثمان أبو عبدالرحمن السُّلمي، الذي كان من أعلم التابعين بكلام الله عَزَّ وَجَلَّ وإقراءه، فإنه علَّل الحديث بذلك، فظن بعض الناس أنها من كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وليس ذلك كذلك، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يقل هذه الجملة؛ وإنما قالها أبو عبدالرحمن ومعناها صحيح لكنها ليست من كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: «تعلم القرآن وعلمه».

جاء هذا الحديث بلفظين في الصحيح.

❁ **اللفظ الأول:** بالعطف بحرف الواو «تعلم القرآن وعلمه».

❁ **اللفظ الثاني:** بلفظ (أو) التي تفيد التخيير لا التشكيك، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال فيه: «خيركم من تعلم القرآن أو علمه».

وأصح اللفظين- مع صحتهما جميعا- هو الأول، وأكثر نسخ الصحيح عليه، وعلى ذلك فإننا نقول: إن لفظ الواو تدلنا على معان متعددة، إذ الواو تدل على مطلق الجمع، فحينما يقول دخل فلان وفلان، فيدل على أن هذين الاثنين قد اجتمعا في الدخول، أو في الفعل الذي جمعا فيه، وهذا المعنى المشترك في واو العطف في جميع استخداماتها.

✍ **وحينما نقول إن الواو هنا للعطف نستفيد فائدتين جليلتين:**

❁ **الفائدة الأولى:** أن يكون الجمع في الأجر، وهذا المعنى صحيح، فقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» فيكون المتعلم والعالم في الأجر سواء، وهذا صحيح، وممن نصَّ على هذا المعنى: ابنُ مفلح في «الفروع»، ومن الشرح: ابن الأمير الصنعاني في شرحه على الجامع، فقالوا إن ظاهر هذا الحديث- وهو ظاهر ما نص عليه فقهاؤنا كذلك- أنه في حِلق العلم المتعلم والعالم أجرهما واحدا سواء، لا فضل لأحدهما على الآخر، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جمع بينهما في الفضل والخيرية، فقال: «خيركم» وفي لفظ: «أشرف الناس» وفي لفظ: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»، فجمع بينهما بالواو وهذا معنى صحيح، قلت لكم إن ابن مفلح ذكر أنه ظاهر كلام فقهائنا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

وهذا يدلنا على مسألة: أن التعليم، الأجر فيه مستو بين المعلم والمتعلم، بين الملقن والمتلقين، فأجرهما في حال التعليم سواء، وأما بعد التعليم فإن عمل المتعلم

بما عَلم، فإنه يؤجر أجرا أعظم من أجر المعلم، وإن كان للمعلم أجر من عمل بسبب ما علَّمه، فإنه قد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من دل على هدى كان له مثل أجر من عمل به، من غير أن ينقص من أجره شيئا»، قال شراح الحديث رحمهم الله تعالى: فمن دل على الخير وعلمه وهدى إليه، كان له مثل أجره دون مضاعفة العمل.

فالمتعلم إذا عمل بما علم وتعبد الله عَزَّ وَجَلَّ به وقرأ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وتلاه، فإنه يؤجر على العمل، ويضاعف له الأجر إلى سبعمئة ضعف، ومُعلِّمه لا يؤجر هذا التضعيف؛ وإنما يؤجر على أصل العمل، هكذا قال الشراح جمعا بين الأحاديث في الباب.

إذا عرفت ذلك فإنه قد جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يدخل في بالسهم الواحد الجنة ثلاثة: يُدخل به صانعه، وباريه وراميه»، وهذا يدلنا على أن فضل الله واسع، وأن من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه الأمة أن جعل لهذه الأمة أجورا عظيمة على أعمال قليلة، وتستمر لها الأجور بعد وفاتها، ولذلك من أنعم الله عَزَّ وَجَلَّ عليه فكان معلما للقرآن، وكان سببا في تلقينه لغيره فإن أجره مستمر عليه في حياته وبعد وفاته، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»، ومن هذه الثلاث: «أو علم ينتفع به»، والعلم الذي ينتفع به أعظمه وأجله وأعلاه وأفضله هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وكفى بالمرء شرفا وفخرا أن يوصف أنه مُعلِّم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقد ذكر الذهبي في بعض مصنفاته أنه عِيب على بعض كبار الفقهاء من باب اللمز،

أنه كان معلما للصبيان القرآن في أول عمرة وفي تاليه، فرد عليه شمس الدين الذهبي بكلمة جميلة، قال: كفى فلانا شرفا وفضلا، أنه معلم للقرآن للصبيان، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

أيها الفاضل!! إن من الناس من يرى تقديم بعض بعض أشغال الدنيا على تعليم القرآن، وإن من الناس من يرى أن تعليم القرآن قد ينقص من قدره ومكانته، وقد يذهب وقته وشغله، وما علم ذلك الشخص أنه قد فوت على نفسه أجرا عظيما، وباب خير جليل، وهذا من أخطر الأمور، ولو تأملنا ما جاء عند أبي داوود أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر أن من علامات آخر الزمان أن الناس يتدافعون الإمامة، فكل يدفع غيره ليؤم الناس؛ فإن من معنى ذلك تدافعهم حتى في قضية التعليم.

ولذا فإن أبا عبدالرحمن قال: ما أقعدني مقعدي هذا إلا هذا الحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، صبر في الكوفة أكثر من أربعين عاما على ما مر فيها من محن، ومر فيها من فتن، وما كان فيها من أمور، ومع ذلك صبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ واحتسب، وقد كان أبو عبدالرحمن السُّلمي راوي هذا الحديث والمتعظ بمعناه وبلفظه كان يقرئ الناس القرآن حتى وهو في الطريق، قال بعض الرواة عنه- فيما نقله ابن الجزري في ترجمته في طبقات القراء- أنه كان أعمى وأنه كان يُقرء الناس القرآن في المسجد وفي مروره في الطريق، يقرءون عليه القرآن وهو في الطريق كذلك، وهذا من الأمور المهمة التي يعنى بها طالب العلم، أما وقد أنعم الله عَزَّوَجَلَّ عليك فأحسنت وتعلمت وتلقنت كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فأد زكاته، وأدّ واجبه بأن تعلم الناس ما علمك الله عَزَّوَجَلَّ، ولو أن تجلس لطالب واحد، ومما أذكره من بعض المشايخ في الحرمين- في مكة والمدينة- أنهم إذا اقرءوا شخص القرآن وحفظ القرآن على أيديهم اشترطوا عليه شرطا أن يُقرئ القرآن

وأن يحفظه اثنين أو ثلاثة، فيشترطون عليه هذا الشرط، ومن قام بإقراء شخص واحد القرآن كله أصبح إقرء الناس القرآن وتعليمهم القرآن لذة له فلا ينقطع عنها بفضل الله عَزَّوَجَلَّ وإحسانه وإنعامه للمؤمنين

إذن هذه الكلمة التي قلتها قبل قليل أردت أن تعلم فضل معلم القرآن، ويشترك ربما معه في بعض الأجر- لكنه دونه ولا شك في الأجر- من كان سببا بدعم مال، أو بِحَثِّ ولدٍ على تعلم القرآن، أو بسبب إدارة في جمعية، أو نحو ذلك من الأسباب الكثيرة، فلا شك أن لهم أجر، لكن أكمل الناس أجر اثنان، المتعلم والعالم، قال ذلك المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «خيركم- وفي لفظ-: أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

وفي واو الجمع التي تقدم ذكرها قبل قليل في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» نكتة لطيفة أخرى: وهي أن الجمع هنا يدل على أن هذه الخيرية والأفضلية والشرف- كما تعدد اللفظ في المتصف بهذا الأمر-؛ إنما يتحقق لمن جمع بين هذين الأمرين، تعليم الناس القرآن، وتعلمه قبل ذلك، فأما التعلم فهو شرط التعليم ولا شك، فمن علم الناس بلا تعلم فإنه يعلمهم خطأ، وقد جاء في الخبر: «من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ ولو أصاب»، فمن ظن أنه سيعلم الناس معاني القرآن ويجتهد بلا تعلم مقدم؛ فإن تعليمه خاطئ وهو آثم، ولو لم يك تعليمه خارجا عن الصواب.

ولذلك هناك نكتة لطيفة أوردها ابن هبيرة- الوزير أبو المظفر بن هبيرة شيخ أبي الفرج ابن الجوزي- قال: إن الفطن واللبيب واليقظ هو الذي إذا تعلم آية علمها الناس،

ولم يصبر وينتظر حتى يتعلم القرآن كله ثم يعلمه الناس؛ لأنه إذا لو انتظر لربما جاءه أمر من فواجع الدنيا ومن نوازلها فأشغله عن تعليم الناس.

فاليقظ والفطن- كما عبر ابن هبيرة- هو الذي يعلم الناس من حين يتعلم أدنى شيء، فمن حين تتعلم آيات قليلة علمها من استطعت، ممن يكون أعجمي اللسان أو أن يكون صغير السن أو أن يكون قد كان غير محسن للقرآن، ومن المعاصرين من ألف كتابا وذكر فيه أنه قد بلغ من العمر ما جاوز الستين، وأنه ممن يشار إليه بالبنان في بعض العلوم العربية والشرعية كذلك، قال: وقرأت في المسجد بصوت جهور مرة فكان بجانب شاب فقال: يا أبا فلان أخطأت هذه الآية؛ وإنما صواب قراءتها كذا وكذا، فأنت لا تستنكف ولا تستكبر ولا تستحي أن تُعلم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ولو شيئا منه، كما سيأتي فيما الذي يعلم من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

إذن هذا ما يتعلق بحرف الواو في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وكيف أنها تدلنا على حكمين مهمين نص عليهما أهل العلم، وأما ما جاء في بعض نسخ البخاري أنها (أو) فإنه قد جزم جمعٌ من الشراح- كالكرماني وغيره- أن الواو أصح، ولكن إن قيل بصحتها فإنها تدل على أن من انشغل بأحدهما فإن الله سيعطيه بعض الخيري.

اختم حديثي بموضوع مهم هو جل موضوعنا وزبدته وأصله وإليه يستمد، وهو أن قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أن التعلم بما يكون، والتعليم بما يكن، هل التعلم مجرد الوقوف عند الحروف؟ لتحسن التلاوة؟ لا، فإن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سيقرأ القرآن أقوام ليسوا بخياركم. وبين

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء.

إذن ما الذي يكون به التعلم ويحصل به كذلك التعليم؟ ذكر أهل العلم أن أهم هذه الأمور خمس وكل واحد من هذه الأمور الخمس يحتاج تفصيلا وتبينا:

❁ **فأول هذه الأمور:** معرفة ألفاظه، وإحسانها نطقا لحروفها وضبطا لإعرابها وحركاتها، وكذلك حسنا في أدائها، وهذه الأمور الثلاث من الأمور المهمة التي يختلف الناس فيها، فليس الناس متساوين في ذلك كمال التساوي، بل بعضهم أعلى من بعض، وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أعربوا القرآن. وكان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول كذلك في فضل الأعراب أن إعراب القرآن أفضل من كثرة قراءته.

والمراد بإعراب القرآن هو نطقه كما ينطقه العرب، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما جاء عند البيهقي وغيره: «اقرءوا القرآن بلحون العرب» أي: كما ينطقه العرب.

وبناء على ذلك فإن النطق الصحيح يكون أولا بإخراج الحروف من المخرج الذي نزل به القرآن، فالقرآن جاء بهذه الحروف العربية بلسان عربي مبين، وإن بعض الناس قد ينطق بعض الحروف بغير النطق الذي جاء به القرآن، واضرب لذلك مثالا: وهو القاف، فإن القاف عند العرب نوعان، قاف مشقوقة وقاف غيرُ مشقوقة، وكلاهما نطق بها العرب، وأما القاف غيرُ المشقوقة فإنها لغة مضر، قال ابن الحاجب- أو ابن خلدون نسيت الآن- ولا أستبعد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تكلم بها. والقاف غير مشقوقة هي التي ينطق بها كثير من الناس عندنا وفي بلادنا حينما يقولون (جا) فيقول: اهدنا الصراط المستجيم، وغير ذلك من الأمور، هذه فصيحة عربية، لكن اتفق علماء الإقراء

أنه لم ينزل بها قرآن، ولذا قال جمع من أهل العلم وأفرد بعضهم رسالة فيه كالشوكاني أنه لا يجوز قراءة القرآن بذلك.

إذا عرفت ذلك فإن معرفة نطق الحروف مهم فالقاف تنطق كما نزل في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإن كان لها مخرج في لسان العرب صحيح لكنه لم ينزل في في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولم يتل به فلا يجوز قراءته به.

ومثله بعض الحروف عند بعض الناس عندما يستثقل بلهجته بعض الحروف كالزاي والثاء وغيرها والقاف عند بعض الناس حينما يقلبها غينا فحين إذ يلزمه أن يحسن مخارج الحروف هذا الأمر فيما يتعلق بالحروف.

❁ **الأمر الثاني**: فيما يتعلق بالحركات، صرفا وإعرابا، فالصرف للحركات وسْط الكلم والإعراب للحركات في آخر الكلم، وهذه لا بد من معرفتها، إذ تغيير حركة لربما غير المعنى، وتغيير الحركة قد يكون فيه اللحن لحنا جليا، وقد يكون اللحن لحنا خفيا، فأما علماء الأداء فيرون أن تغيير كل حركة يكون من اللحن الجلي، وأما الفقهاء فإنهم يقولون إن تحريك الحركة وتغييرها على غير ما جاء بها النقل يكون من اللحن الخفي إلا إذا تغير به المعنى فيكون لحنا جليا مثل أن يقول بدلا من أن يقول إياك نعبد يكسر حرف الكاف فيتغير المعنى حين ذاك معنى قبيحا، فالمقصود من ذلك أن معرفة الحركات مهم، بل إن تغيير بعض الحركات يجعل اللحن لحنا جليا مبطلا للصلاة فلا بد من التنبه له.

❁ **الأمر الثالث والأخير**: هو ما يتعلق بالأداء في قضية الغنن والإدغام وما يتعلق كذلك بالمدود مدود العرب فلا يزيد ولا ينقص، فإن الزيادة قبيحة والنقص كذلك

قبيح، وغير ذلك من الأمور.

وهذه الأمور الثلاث لنعلم أنه لا يمكن تعلمها إلا بالتلقي، وهذا أمر قد خص الله به أمة محمد، إذ الأمم قبلنا اليهود والنصارى وغيرهم، كانوا يأخذون دينهم وكتابهم من الصحف، فكانوا ينقلونها كتبا، وأما قرآننا ومثله سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في العصور الأول، إنما تنقل نقلا ورواية وشفاها ولذا جاء عن عبدالله بن مبارك رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة واحد وثمانين ومئة من هجرة المصطفى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: الإسناد من الدين، فإن قيل عمن؟ بقي- أي: حار-، ولم يستطع أن يجيب.

لذلك فإن القرآن لا تمكن معرفة دقة ألفاظه وحسن الأداء فيه إلا بالأخذ عن الأشياخ، وهذا الذي جعل معنى القرآن متواترا بين الناس، فلو أن امرأ أراد أن يغير حرفا بل حركة بل نطق حرف من غير تحريك حركته ما استطاع؛ لأن في كل بلد من استفاض بهم وتواتر بهم العدد ممن يحسن القراءة، ولذا فلا بد أن الشخص يمكث عند شخص ويقرأ عليه، ولا يستعيب وإن طال عمره، وكبر جاهه في أهل بلده، أن يقرأ القرآن عند من هو دونه، سنا أو شرفا أو غير ذلك من الأمور المعروفة، وقد كان الأكابر من أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقرأ بعضهم عند بعض، ويتعلم بعضهم من بعض، وهذا من خصائص هذا الدين، أن العلم يأخذه بعضنا كابرا عن كابر ونتوارثه بعضا عن بعض كما قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «تسمعون ويُسمع منكم» وهذا من نبوآته صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصدق، هذا الأمر الأول وهو وهو ما يتعلق بمعرفة لفظه وإعرابه.

❁ **الأمر الثاني**: فيما يتعلق بتعلم القرآن وهو تعلم غريبة، وذلك أن في القرآن ألفاظا غريبة بعض الناس لا يعرفها، وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه. فقول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والتمسوا غرائبه، أي: تعلموا بيان معنى الكلمات الغريبة، فإن أحدا فإن أحد الأمور التي يتحقق بها معرفة وتعلم القرآن تعلم الغريب، إذ القرآن فيه ألفاظ غريبة، كثير من الناس لا يستعملها، بل ربما استعمل هذا اللفظ في غير معناها كما يوجد في بعض اللهجات، ولذا فإن من المهم على متعلم القرآن أن يُعنى بمعرفة كلمة القرآن وغريبة، فيعرف دِلالة كل لفظة ولا يكون تعرفه ذلك إلا بلسان العرب فقط، إذ القرآن نزل بلسان عربي مبين، وما من كلمة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من الغريب إلا وقد بينها علماء اللغة وعلماء التفسير بيانا تاما كاملا، ومن كلام الله عَزَّوَجَلَّ ما يحتمل معنيين وقد جاء ذلك عن أبي الدرداء وغيره وليس هذا محل بيانه.

❁ **الأمر الثالث**: الذي يتحقق به تعلم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وتعليمه، وهو أمر عظيم جليل، تنقطع الأعناق دون الوصول لبعضه، إذ لا يمكن الوصول لكله، وهو معرفة معانيه، وقد جاء في الحديث الذي رواه الحارث الأعور عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «كتاب الله فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم» ومما قال في هذا الحديث: «لا تنقضي عجائبه»، مهما نظرت في معاني كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فإن معانيه لا تنقضي، فيما يتعلق بإخباره عن أنفسنا: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] عن أبداننا وعن طبائعنا، وعما أحدثه الله عَزَّوَجَلَّ قبلنا من الأمم، وما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به بعدنا، وعما يُصلح حالنا من الأحكام والأخلاق وغيرها، وقبل ذلك توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لوجدت في ذلك عجبا، يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحب أن يعرب، ثم قال: أنزل الله عَزَّوَجَلَّ القرآن على خمسة

أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال.

هذه الكلمة التي قالها أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كلمة في غاية النفاسة، ولننظر في هذه الأمور الخمس ونمر عليها إجمالا فإنها ذات أهمية:

❃ **أولها**: قوله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: اعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام.

إن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قد دلنا على كل الأحكام، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها حلالها وحرامها مندوبها ومكروهها، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يبين ذلك لمن شاء من عباده ويفتحه عليه، وقد مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ علينا بسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، فبينت كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وقد ألف الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم رسالة لطيفة ذكر في مقدمتها أن جميع الأحكام من الحلال والحرام في القرآن ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ولكن الاستنباط لهذه الآيات يفتح الله عَزَّوَجَلَّ فيها على بعض العباد دون بعضهم، ويسترشدون بالسنة لكي لا يكون فهمهم خاطئا، ثم ضرب لذلك مثالا في مسألة الفرائض، وذكر أن بعض الفقهاء قالوا إن عددا من مسائل الفرائض ليست في القرآن ومنها الجدة وغيرها ثم ذكر في تلك الرسالة أن هذه المسائل موجودة في القرآن لمن تنبه لمعاني القرآن ودلائل ألفاظه، إذا معرفة الحلال والحرام عظيم جدا، أن يؤخذ من القرآن، وهذا قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ في ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «ترجمان هذه الأمة»، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يفتح لأناس في معان ما لا يفتحه لآخرين.

❃ **الكلمة الثانية**: قوله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: واعتبروا بأمثاله.

أي: اجعلوها عبرة لكم، والأمثال نوعان مثل مضى فاعتبروا به وتذكروه، ومثل باق

وهو بين جنبيك، مما جعله الله عَزَّوَجَلَّ مما تراه، من نفسك ومن الجبال ومن السماوات ومن الأراضين ومن الحيوان ومن غيرها من الأمور، ومَن تأمل فيما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالتفكر فيه والاتعاظ فإنه في الحقيقة عالم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومعلم لغيره إن اهتدى بكتاب الله.

❁ **الكلمة الثالثة:** وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وآمنوا بمتشابهه واتبعوا محكمة.

هذه هي المسألة الرابعة المهمة التي يكون بها التعلم إذ مر معنا أن التعلم للألفاظ والتعلم للغريب والتعلم للمعاني والأمر الرابع هو الذي ذكره أبو هريرة وهو التعلم الذي يكون به الإيمان، وكيف يكون التعلم إيمانا؟ قال أهل العلم رحمهم الله تعالى: إن الإيمان لا يقتصر على التصديق بل إن العمل داخل في مسمى الإيمان كما كان أبو الدرداء ومعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يجتمعان فيقول أحدهما للآخر: تعال بنا نؤمن ساعة، فيجلسان فيقرآن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، إذن القرآن تعلمه هو الإيمان به، فمن كان مؤمنا بالقرآن بمحكمه كما قال أبو هريرة مصدقا عاملا كمال التصديق بهذا القرآن وبالمعاني، فإنه يكن من أعلم الناس به، أنا أعلمكم بالله وأتقاكم له، ولا يمكن أن يكون المرء مؤمنا أكمل الإيمان بالقرآن إلا أن يكون عالما بمعانيه؛ لأن من شرط الإيمان وكماله العلم، والناس يتفاضلون في العلم فيتفاضلون في الإيمان، كما قال الله جَلَّ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، المقصود من هذا أن مسألة الإيمان بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وكماله يتحقق به الإخلاص له سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ونفي العمل لأجل الخلق لا رياء ولا سمعة ولا تشريك، فإنه يكن أكمل ما يتحقق به الإيمان.

وهنا نكتة لطيفة أذكرها أيضًا عن أبي عبدالرحمن السُّلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قلتُ في مسألة

الإيمان أن أكمله أن يجعل المرء عمله خالصا لله عَزَّوَجَلَّ لا رياء ولا سمعة ولا تشريك، ومن التشريك أن يأخذ المرء أُجرة على إقراء القرآن، نعم أخذ الأجرة عليها جائز وخاصة إن كان من جهة عامة، لكن أن يُعلِّم المرء القرآن لله مخلصا، من غير أجرة فهو أعظم، جاء أن أبا عبدالرحمن السُّلمي راوي هذا الحديث عندما أقرأ رجلا القرآن جاءه ذلك التلميذ بهدية وأعطاه إياها، فقال له أبو عبدالرحمن: هلا قبل أن تقرأ القرآن علي؟ هلا أهديتني هذه الهدية قبل؟ لكي لا تكون بمثابة الثواب على هذا العمل الصالح، ذكرتُ فيما تقدم أن كمال الإخلاص يتفاوت الناس يتفاوت الناس فيه، وهذه المسألة مشهورة بمسألة التشريك في النية، ما من غازية يغزون فيغنمون إلا تعجلوا ثلثي أجرهم، وأكمل الناس في الإخلاص هو من علم الناس القرآن لله، لا يرجو جزاء ولا يرجو شكورا لا يرجو أجرة لا يرجو رفعة لا يرجو تقدما إنما يرجو ما عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يدلنا على هذا المعنى العظيم.

وقالوا إن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدل على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وخاصة إذا كانت الأجرة من بيت مال المسلمين أو من جهة عامة بأنه حينما أورد هذا الحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» أعقبه بحديث آخر في الرجل الذي قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «زوجتك بما معك من القرآن» فدل على كمال خيريته وأن هذا الفعل قد يكون من ذلك ولكن هذه المسألة فيها خلاف.

عرفنا الآن أربعة أمور سابقة، وهي العلم والعمل وإتقان اللفظ ومعرفة الغريب والإيمان بألفاظه وبمحكمة ومتشابهه معا.

بقي عند المسألة الأخيرة واختم بها حديثي، وهي مسألة العمل، فإن العمل بما

تعلمه المرء دليل صدق إيمانه، ودليل صدق تعلمه كذلك، وقد قال أبو عبدالرحمن السُّلمي: حدثنا الذين يقرؤوننا من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها ويعملوا بما فيها، فإن العمل بما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هذا هو الذي يدل على ابتلاء الإيمان وصدقه، وفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ما يدل على ذلك، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ في سورة البقرة: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢]، هذه الآية قَرَن الله عَزَّوَجَلَّ فيها بين تعليم التلاوة، ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ وبين التزكية وهي التطهير وبين التعليم فهي ثلاثة أمور ولا تكون التزكية إلا بالعمل، ولذلك لا بد من العمل ومن أقل العمل أن يُعلِّم المرء ما تعلمه من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد جاء عن أبي عبدالرحمن السُّلمي صاحبنا راوي هذا الحديث، أنه كان يقف مع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيسأله عن كثير من الآي ما معناها؟ فقال له عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني رجل قد وليت مسلمين أصبحت واليا من ولاة أمور المسلمين بل هو خليفة المسلمين، وإني يشغلني ذلك عنه، أي: الإجابة عن كل مسألة، ولكن إتي زيد، فإنه إذا سألْتَه أجابك، فكان أبو عبدالرحمن السُّلمي يأتي زيدا فيسأله عن معاني الآيات، ويقف عندها بعدما أحاله على ذلك عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لعلنا نقف عند هذا القدر، اسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يرزقنا جميعا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا الفقه في الدين، وأن يعلمنا كتابه، وأن يذكرنا منه ما

نسينا، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضي ربنا ﷻ عنا، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يغفر لوالدِينا وأن يرحمهم وأن يعفو عنهم وأن يجزيهم عنا خير الجزاء كما جزى خير والد عن ولده وأن يغفر لنا تقصيرنا في حقهم، واسأله ﷻ أن يوفق ولاة أمورنا وأن يدلهم على كل خير، وأن يجمعنا ووالدِينا ومشايخنا وولاة أمورنا في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفقاء، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا وإمامنا وقدوتنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ألقيت هذه المحاضرة ليلة الخميس
الخامس من شهر صفر
من عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف
في جامع حوطة سدير القديم.

❊❊❊